

علماء العراق أهم من النفط !

28-5-2004

"علماء العراق" شاهد بامتياز على حالة العالم العربي المتنكر للمعرفة ولأهميتها وخطورتها، وهم اليوم أبرز ضحايا الحرب العراقية، إذ يقفون بين احتمالات مريرة ابتداء من الاعتقال والإهانة وانتهاك حقوقهم على أيدي القوات الأمريكية - كما أشار إلى ذلك عبد الرحمن الزاك (عميد كلية الهندسة الوراثية في بغداد) - مروراً بمحاولات الاغراء والشراء بالمال والجنسية الأمريكية .. الخ وصولاً إلى حالات التصفية والقتل والاعتقال .

بقلم محمد سليمان

تناولت كثير من الدراسات والكتابات العربية الأهداف الأمريكية من الحرب على العراق، وتعددت اتجاهات الكتاب في تحديد وترتيب أولويات وأهمية هذه الأهداف بين من يرى أن الأولوية للنفط وبين من يرى الأولوية بتخلص الولايات المتحدة وإسرائيل من قدرات العراق الاستراتيجية، وبين من يرى في الحرب مقدمة لإعادة تشكيل ورسم الخريطة الجغرافية- الإستراتيجية للمنطقة من جديد . والغريب أن أغلب الكتاب تجاهلوا أخطر وأبرز هذه الأهداف إلا وهم علماء العراق ، والذين يشكلون مستودع الخبرة البشرية العراقية في مجال المعرفة ، وموطن الثروة الحقيقية التي تشكلت في العراق في العقود السابقة ..

يبدو أن قدر " المعرفة " في العالم العربي أن تبقى هامشية ، وأن تبقى أهميتها خارج نطاق الإدراك الرسمي والعام ، فيتحمل المبدعون والعلماء استحقاقات ذلك - كما يحدث اليوم في العراق - ، على الرغم ان الاهتمام العالمي يكشف عن أن مصدر الثروات والقوة لدى الأمم اليوم هي "المعرفة" ليس فقط على مستوى التصنيع العسكري حيث تتزايد أهمية التكنولوجيا بشكل كبير ، وإنما في مختلف روافد القوة كالقوة السياسية (المبنية على ترشيد صناعة القرار بالمعرفة والمعلومات) والقوة الاقتصادية والقوة الاجتماعية (المجتمع الرشيد ، والمجتمع الأهلي) .. الخ . "علماء العراق" شاهد بامتياز على حالة العالم العربي المتنكر للمعرفة ولأهميتها وخطورتها ، وهم اليوم - كما تشير تقارير كثيرة - أبرز ضحايا الحرب العراقية، إذ يقفون بين احتمالات مريرة ابتداء من الاعتقال والإهانة وانتهاك حقوقهم على أيدي القوات الأمريكية - كما أشار إلى ذلك عبد الرحمن الزاك

(عميد كلية الهندسة الوراثية في بغداد) - مروراً بمحاولات الاغراء والشراء بالمال والجنسية الأمريكية .. الخ وصولاً إلى حالات التصفية والقتل والاعتقال .

إن الحالة في العراق المحتل تشير إلى أن الإدارة الأمريكية تتبع أساليب مع العلماء العراقيين : إما التصفية والاعتقال والمطاردة وإما الإغراء بالمال والامتيازات للهجرة هناك ، وتبين تقارير غربية وأمريكية أن هناك حالات قتل وتصفية نالت عدد كبير من العلماء العراقيين ، فيما تم اعتقال عدد منهم ، بينما استطاع عدد آخر الهروب من العراق ، ولكن من

المتوقع أن يبقوا موضع اهتمام وبحث من قبل الأجهزة الأمنية الأمريكية .
لقد بدأ الاهتمام الأمريكي مبكرا بموضوع العلماء العراقيين ،
وبالخبرة العراقية المترامية في الفترة الأخيرة ، فمنذ بداية التسعينات
أخذت مؤسسات أمنية وسياسية أمريكية تبحث في شأن هؤلاء العلماء
والخبرة الكبيرة التي يملكونها . وفي مقال لمارتن إنديك نشره في مجلة
الشؤون الخارجية Foreign Affairs عام 1993 بعنوان Watershed in the
Middle East أشار إلى أن الاهتمام الأمريكي بالعراق يرجع إلى أسباب
رئيسية في مقدمتها الخبرة العراقية الخطيرة والمترامية في مجال
التصنيع العسكري والبحث العلمي ، وأشار في مقاله إلى أن هناك آلاف
العلماء العراقيين الذين يشكلون بحق مصدرا خطيرا في الشرق الأوسط ،
قد يؤدي إلى نقل الخبرة العراقية إلى دول عربية وإسلامية أخرى .
ولم يخف الاهتمام الأمريكي بموضوع العلماء العراقيين منذ بداية
الحملة الأمريكية قبيل الحرب ، إذ ركزت الولايات المتحدة على أسماء
العلماء ، وطالبت المحققين في لجنة الانفوميك بضرورة إعطاء الأولوية
لاستجواب العلماء العراقيين ، وتحديد أسمائهم ، وهو الأمر الذي كان يمهد
لمرحلة ما بعد الاحتلال من خلال وجود قائمة معلوماتية موثقة ودقيقة لدى
الأجهزة الأمنية الأمريكية بأسماء العلماء لتتم عملية ملاحقتهم وترتيب آليات
التعامل معهم .

ثم خصصت الإدارة الأمريكية في ديسمبر 2003 برنامجا بقيمة 22
مليون لـ " تأهيل العلماء العراقيين " الذين عملوا في برامج التسليح
العراقية ، والهدف المعلن من البرنامج هو الاستفادة منهم في برامج
للاستخدام السلمي للطاقة . في حين أن الهدف الحقيقي هو استغلال عدد
كبير من هؤلاء العلماء من خلال ترحيلهم إلى الولايات المتحدة وإعطائهم
الجنسية ودمجهم في مشاريع معرفية هناك ، كما حدث بعد الحرب العالمية
الثانية مع العالم الألماني النازي براون وزملائه الذين قامت الولايات
المتحدة بترحيلهم إلى أراضيها ، وتقديم عروض كبيرة لهم ، واستثمارهم
في بناء مؤسساتها وقدراتها .

إنّ مأساة علماء العراق تلقي بسؤال ثقيل وكبير على العالم العربي
والإسلامي وهو سؤال المعرفة ، ففي الوقت الذي تسعى فيه الولايات
المتحدة إلى ملاحقة هؤلاء العلماء وإغرائهم بكافة الوسائل للاندماج والعمل
في مؤسساتها ، أو تقوم بتصفيتهم منعا لنقل الخبرة والمعرفة التي
يملكونها في عقولهم . وفي الوقت الذي تتنافس فيه الدول الغربية
والمتقدمة على الحصول على المعرفة واستقطاب العقول والخبرات
البشرية ، وتقديم كل التسهيلات والإمكانيات لها ، لأنها تدرك تماما أن
المعرفة هي أساس التقدم اليوم في جميع المجالات . في المقابل فإن
العالم العربي لا يابه ولا يكاد يهتم لموضوع علماء العراق والمأساة التي
يعيشونها اليوم ، وهي مأساة لو قدر لنا تصنيفها من حيث الخطورة والأهمية
لأمكنا القول أنها مأساة تاريخية كبرى بحق تعيشها الأمة وتعتبر عن
الحضيض الحضاري الذس وصلت إليه ! .

في تقديري إن ما يحدث لعلماء العراق اليوم لا يخرج عن سياق
الحالة العامة للأمة ، بل هو مؤشر كبير يتناغم ويتشاكل مع مؤشرات أخرى
كهجرة العقول المفكرة وجوع المثقفين والعلماء وغياب الاهتمام بالعلماء

والمثقفين لصالح فئات تمسك بمقاليد الأمر والثروة والسلطة في البلاد العربية ، لا تعرف أهمية ولا كرامة للمعرفة والثقافة الامر الذي ينعكس على قيمة المعرفة داخل المجتمعات العربية ، وكل هذا وذاك يدفعنا إلى التذكير - فقط التذكير - لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد : إن عقول آلاف العلماء العراقيين أعلى وأهم بكثير من النفط الذي تتباكى عليه!!.